مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 14 العدد: 02 السنة 2022 ص 501 - 514

تاريخ الإرسال: 2022/01/31 تاريخ القبول: 2022/04/14
تاريخ النشر: 2022/04/24

# شخصية ابن رشيق...ناقد أم راوية نقدي

# The Character of Ibn Rachiq…a critic or critacal narrator

بلقاسم سمية[1]، بلحسين سليمان[2]
جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، [1]soumiaaya804@gmail.com
جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، [2]belhocinesilmane@gmail.com

**الملخص:**

يُعدّ ابن رشيق أحد أهم وأبرز النّقاد الذين عرفهم النّقد المغاربي وبهم أثبت وجوده كعامل مؤثِّر في ساحة النّقد الأدبي وتميَّز عن نظيره المشرقي لما لهذا الأخير –ابن رشيق–من إسهامات عزَّزت مكانة النّقد المغاربي في عالم النّقد غير أن البعض رأو أن شخصية صاحب العمدة –ابن رشيق لم تأت بجديد يذكر بل ينفون عنه صفة النَّاقد ويعدُّونه بالمقابل مجرَّد راوٍ نقدي ،فاختلف بذلك النقاد حول شخصيته أهو ناقد أم راوية نقدي ؟!.

**الكلمات المفتاحية:** شخصية ابن رشيق؛ ناقد؛ راوية نقدي.

**Abstract:**

The Title: The personality of Ibn Rachiq…A Critic or a critical Narrator?!

Ibn Rachiq is considered as one of the most Important and prominent critics whom Maghreb criticism knew, and with whom he proved his presence as an influential factor in the literary criticism arena, and he distinguished himself from his

Levantine counterpart because of the contributions of the latter – Ibn rachiq-that strengthened the position of Maghreb criticism in the world of criticism.
The personality of the mayor –Ibn rachiq-did not bring anything new .Rather, they deny him character of the critic, and consider him, in return, just a critical.
narrator, so the critics differed about his personality, is he a critic or a critical narrator?!
**Keywords**: the character of Ibn rachiq; critic ; critical narrator

---

**المؤلف المرسل: بلقاسم سمية، somiaaya804@gmail.com**

**مقدمة:**

لقد شهد المغرب العربي حركة فكرية واسعة خاصة في القرنين الرابع والخامس الهجريين شملت ميادين عدة كالفكر والثقافة، وما يتفرع عنهما، وكل ذلك بفضل المراكز الثقافية المنتشرة آنذاك، وأخص مدينة القيروان التي استقطبت العديد من الأدباء المفكرين والعلماء دون أن نتجاهل تلك الحواضر الأخرى، التي كانت دائما المصدر الأساس للقيروان، كما هو حال مدينة تاهرت التي أمدّت القيروان بـ "بكر بن حماد " الشاعر الفحل، و"علي بن أبي الرّجال" رجل الفكر والسياسة والأدب بالإضافة إلى مدينة المسيلة التي أنجبت للقيروان عبد الكريم النهشلي والحسن ابن رشيق، وهما من هما في النّقد والأدب[1]؛ إذ يعد كتاب العمدة لابن رشيق من أمهات الكتب النّقدية التي لفتت أنظار النّقاد إليه، فألّفوا في ذلك كتبا، وأُنشئت لذلك رسائل جامعية تناولت أبرز قضاياه النّقدية، لما أثارته من حيرة في نفوس الكثير من النّقاد والأدباء حول آرائه النّقدية التي رآها البعض أسهمت في تطوّر الحركة النقدية المغاربية، بينما رآها بعضهم الآخر أنها ليست سوى حشد للأفكار والرؤى النّقدية التي لم تقّدم جديدا يذكر بالنّسبة للنّقد عموما وللنّقد المغاربي خصوصا، لكن السؤال

الذي يطرح نفسه ويحيرنا جميعا هي شخصية ابن رشيق هل هو ناقد أم راوية نقدي؟ وما العوامل التي جعلت مثل هذا التّساؤل يتسلّل إلى دواخلنا؟

هذه تساؤلات نحاول الإجابة عنها انطلاقا من بعض القضايا النّقدية التي أدلى بدلوه فيها كقضيّة اللّفظ والمعنى والطّبع والصّنعة والسّرقات وغيرها، معتمدين في ذلك على بعض الآراء النّقدية المختلفة حول شخصية ابن رشيق كناقد من جهة، وكراوية من جهة أخرى وهو ما سنتعرض له في مبحثنا الآتي فما معالم شخصية ابن رشيق الناقدة؟

**شخصية ابن رشيق النّاقدة:**

يعد ابن رشيق المسيلي حسب بعض النّقاد والمفكرين أحد أقطاب النّقد الأدبي، بل يتعداه إلى كونه يمثل البنية الحقيقية للشخصيّة الجزائرية في مجال النّقد الأدبي، "فهو وأستاذه عبد الكريم النهشلي كونا الأساس القويّ والقاعدة المتينة لكثير من الدراسات والقضايا النّقدية التي مارسها النّقاد فيما بعد"[2]، فهو بنظرهم صاحب نظرات نقدية ثاقبة، تفجرت على أيديهم بعض القضايا الجديدة، التي إن دلّت على شيء إنّما تدل على قدرة إبداعية فائقة، وإدراك منفتح يتجدّد بمرور كل يوم جديد ناهيك عن اعتباره ناقدا متميّزا عن غيره بوضوح الرؤية لديه في جميع القضايا النّقدية والظّواهر والمصطلحات التي حفلت بها فصول أبواب كتابه "العمدة" الكثيرة، وتجدُر الإشارة إلى أنّها انتهت عند ابن رشيق إلى أكثر من مائة باب مضيفا إليها قائمة المصطلحات النّقدية سبعة أنواع أخرى هي: الاتساع، الاطّراد، التّفريع، التّرديد، التّمييع ونفي الشيء بإيجابه[3].

وعليه يعتقد الكثير من النّقاد أن كتاب العمدة لابن رشيق جاء تتويجا لجهود الأدباء والعلماء والنّقاد في المغرب والمشرق على حدّ سواء، وهذا لا ينّم إلا عن ناقد حصيف متّزن برأيهم –وأديب متميّز ذواقة بالإضافة إلى شاعر فنّان ذي حس عال،

وذلك لتدخُّلاته المتكررة وإبداء رأيه في بعض القضايا كالتي أوردها في مقدمة كتابه "العمدة"، فقد وجد الشعر أكبر علوم العرب وأوفر حظوظ الأدب، وأحرى أن تقبل شهادته...، ووجدت الناس مختلفين عن كثير منه يقدمون ويؤخرون ويقلّون ويكثرون، قد بوّبوه أبوابا مبهمة ولقبوه ألقابا متّهمة، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة، وانتحل مذهبا هو فيه إمام نفسه وشاهد دعواه، فجمعت أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتابه، ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه إن شاء الله تعالى، وعوّلت في الأكثر على قريحة نفسي ونتيجة خاطري[4]؛ ومن اللاّفت للنظر أن لابن رشيق طريقة مميزة في عرضه لآراء سابقيه من النّقاد في قضية معينة، ثم إبداء رأيه فيها وتماشيا مع ما تمّ ذكره يرى العديد من النّقاد أن فضل ابن رشيق يظهر في عملية العرض الجميل والتمثّل للموضوع الذي يدل على تفهم قوي ووعي جاد بالقضايا الأدبية والنقدية، التي كانت سائدة في عصره، وهي طريقة لا يقدر عليها إلا من أوتي ثقافة واسعة وقدرة على التمثّل والاستيعاب وسلامة في التّفكير والذّوق، وقد كان ابن رشيق الأديب الفذّ الذي توفرت فيه مثل هذه النّعوت والأوصاف[5].

ومما لاشك فيه أن هذه الطريقة وما امتلكه من مقومات ساعدته على فهم الشعر وإدراك كنهه، فاستطاع بذلك إضافة أشياء جديدة إلى ما قاله شيوخه وأساتذته من المشارقة والمغاربة، الأمر الذي يدل على نبوغه في–رأي الكثيرين–واتساع ثقافته وتطور مداركه وسلامه ذوقه[6]، وهذا ما وجدناه حينما تطرق إلى بعض المسائل النقدية المشهورة كحقيقة الشعر ومفهومه حيث تميز عن غيره من النّقاد سواء الذين عاصروه أو الذين سبقوه في تحديده لماهية الشعر ودواعيه، إذ يقول: "الشعر يقوم أولا على القصد والبنية ثم بعد ذلك اللّفظ والوزن والمعنى والقافية[7]، وإذا ما نظرنا إلى هذا التعريف نجده ينطلق من خطين متوازيين[8].

–الشّكل بما فيه من الألفاظ والأوزان والقوافي التي تشكل في مجموعها عنصر الموسيقى.

–المحتوى ويشمل المعاني مهما كانت بسيطة أو معقدة وهي تشكل الخيال والعاطفة.

وبالنّظر إلى هذه المعادلة نخلص إلى نتيجة مفادها أن الشّعر ما هو إلا موسيقى وخيال وعاطفة وعليه يمكن القول أن الغاية من وراء تعريف ابن رشيق هي نظريّة سبق بها النّقاد العرب إن لم نقل الغربيين أنفسهم[9]، ولا نستطيع في هذا المقام إلا أن نقول أن ابن رشيق : يشهد له سعة ثقافته ومعرفته في هذا الميدان خاصة في ردّه على من كره ويكره الشعر ويحط من قيمته ولو أن حُججه كانت تتأرجح بين الضّعف والقوة[10]، لكن هذا لا ينفي أن ابن رشيق كان أبعد نظرا وأوسع أفقا في فهمه للعمليّة الشعرية فالشعر بالنسبة له هو هبة أولا ثم صناعة ودربة ومِراس وعلم لابد للشاعر من أن يبرع في استخدامها والوقوف على خباياها فابن رشيق كما نعلم – شاعر فنَّان قبل أن يكون ناقدا يستعمل ذوقه كأديب وحسه كفنان وعقله كمثقف، ومن هنا كانت نظرته إلى الشعر نظرة متكاملة، بل هي نظرة ناقد متذوق مدرك لعناصر الجمال يعرف مكامن أسراره وخفاياه[11]، وتأسيسا على ذلك احتل ابن رشيق مكانة خاصة في عالم النقد عندما طرح بعمق قضية الشاعر نفسه، وحدد دوره ومسؤوليّته في العملية الشعرية مشترطا زادا من المعرفة والثقافة هي عبارة عن ثقافة الشاعر وآدابه[12]، ولتوضيح أكثر بخصوص الآراء النقدية لابن رشيق نتعرض لنقطة لا تقلّ أهمية عن ماهية الشعر وحقيقته ألا وهي القديم والجديد، الذي نجد أنه آمن بالتسوية بين الشعر القديم والشعر الحديث ،لكن في نظره الحكم للأجود منهما وهو الأثر الفني، الذي يضمن خلوده واستمراريته ومن زاوية أخرى لا يريد من الشعراء المحدثين أن ينسجوا على طريقة القدامى في كل شيء بما في ذلك الألفاظ والمعاني

فتأتي أشعارهم حوشية غريبة عنها ولا يمكن بأي حال من الأحوال تسمية هذا تناقضا في الأحكام يرى بشير خلدون إنما كما يقول البلاغيون قديما: لكل مقام مقال، فهو حين يريد أن يتكلم عن خصائص القدماء يبرز محاسنهم، ويدافع والمسألة نفسها حين يعرض للمولدين، وهو واحد منهم وحريّ به إبراز محاسنهم وعناصر الجدة والجمال في قصائدهم تلك هي وجهة نظر ابن رشيق في إلا لخصومة بين القدماء والمحدثين، وهي كما يرى بعض النّقاد وجهة نظر عادلة تدل على بعد في النّظر وحصافة في الرأي ووضوح في الرؤية مع طول دربة ومراس، ولن يتأتى مثل ذلك إلا لناقد وشاعر وأديب كابن رشيق المسيلي[13].

وبطبيعة الحال يصنف العديد من النقاد شخصية ابن رشيق كشخصية نقدية فذة استطاعت جمع أهم وأبرز القضايا النقدية، التي أثارها النقاد في المشرق والمغرب، ثم يسلك في كل قضية منهجا نقديا خاصا، كما فعل مع قضية اللّفظ والمعنى التي حاول الوقوف فيها معتدلا غير متعصّب لأحدهما على الآخر، فهناك علاقة جدليّة بينهما، إذ يقول "اللّفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم"[14]، أي أنه لا يمكن لأيّ طرف الاستغناء عن الآخر، ولطالما أكّد –ابن رشيق– على هذه العلاقة سواء في أقواله التي نسبها لنفسه، ويعبر فيها عن موقفه أو فيما يقدمه من آراء لغيره أو أولئك الذين سبقوه؛ اتفق معهم أم لم يتّفق إلا أن الأمر الأكيد أنّه كان في عرضه منهجيّا –حسب بعض النّقاد– اعتمد على طرق المناطقة والعلماء، حيث نجده يسوق طائفة كبيرة من آراء النّقاد وأقوالهم اختلفت معه في النّظرة إلى قضيّة اللّفظ والمعنى، ثمّ يبدي هو رأيه دون تعصّب منه مما يدلّ على موضوعيته في النّقد[15].

وبما لا يدع مجالا للشكّ أن نظرة ابن رشيق كانت في أغلب الأحيان توفيقه للعديد من المسائل النقدية خاصة مسألة الطبع والصنعة، التي اهتم بها اهتماما خاصا فأفرد لها بابا من أبواب "عمدته" وعلى هذا الأساس الشعر عنده ثلاثة أنواع:

–المطبوع هو الأصل الذي بنى عليه وفيه المصنوع وهو نوعان: مصنوع مهذّب ومصنوع متكلّف[16].

ولتوضيح المسألة أكثر عند صاحب العمدة نورد المفاضلة القصيرة التي يظهر من خلالها أنه أكثر فهما لغيره من قضيّة النِّزاع بين أنصار البحتُري وأنصار أبي تمّام، بل أنصار القديم والجديد وكذلك القائلين بمذهب الصّنعة والقائلين بمذهب أهل الطبع، ذلك أن ابن رشيق يرى أن كلا من البحتري وأبي تمّام شاعران مصنعان، فلم يكن البحتري مطبوعا فقط، ولم يكن أبو تمام متكلِّفا فقط، وإنَّما مشكل النِّزاع وجوهر الخلاف هو في التَّفاوت بينهما (وقد كانا يطلبان الصَّنعة ويولعان بها)، غير أنَّ أبا تمام كان يطلبها بكلفة، ويأخذها بقوَّة على خلاف البحتري فلا يظهر عليه كلفة ولا مشقَّة[17]، ومن هذا المنطلق نستطيع القول: إن ابن رشيق في نظرته كان أبعد وفي فهمه كان أوسع بالنسبة لقضية الطبع والصّنعة والتّكلف، إذ لم يجعل الطّبع حصرا على الشّعراء القدامى والإسلاميّين، فما جديده النّقدي بالنِّسبة لقضيّة السّرقات الشِّعرية؟

**قضيَّة السَّرقات:**

الثّابت عن ابن رشيق أنّ لديه منهاجا خاصّا يتبعه في معالجته للقضايا النَّقدية، فكما جرت العادة عنده أن يطلعنا على آراء النُّقاد، الذين سبقوه باستعراضه لمجموعة من أقوالهم في السّرقة وأنواعها غير أنه يراها أنواع:

– سرقة اللَّفظ مع المعنى.

–سرقة المعنى مع تغيير بعض اللّفظ.

–سرقة تعتمد على تغيير بعض المعنى أو قلبه عن وجهه حتى يخفيه.

وعليه يمكن القول أنَّ من هذه الأنواع تتولَّد التّقريعات العديدة لأوجه السّرقات يعدِّدها ابن رشيق في "العمدة"، ويعرف بها ويأتي لها بالأمثلة[18]، والشواهد من ذلك (الاصطراف – الانتحال– الإغارة– الغصب– المرافدة– الاهتدام– الإلمام– الاختلاس– العكس– الموارد– التلفيق).

استنادا إلى ما سبق يمكننا القول: إن ابن رشيق لم يكتف بجمع تلك المسائل النَّقدية، بل اخترع لها مصطلحات نقديّة إضافة إلى ذلك، فقد واجه النُّصوص ودرسها مفسّرا ومحلّلا ومعلّلا ومعبِّرا عن موقفه إزاء ما يستحسِن منها وما يستهجن[19].

**اللّفظ والمعنى:** لقد أحسن ابن رشيق في تشبيهه العلاقة القائمة بين الدّال والمدلول حينما ربطهما بالجسم والروح، لكنه أخفق من وجهة نظر بعض النُّقاد في الاستفادة من هذا التشبيه في رسم للعلاقة وتوضيحها، خاصَّة أنه تحوَّل –برأيهم– إلى طبيب أكثر منه ناقدا، حيث تحدّث عن السلامة، وما يقابلها من حالات ضعف واختلال في ميزان الصِّحة[20]، غير أنه في أثناء حديثه عن بيت الشِّعر يتصوَّر وجود تركيب لفظيّ بلا معنى، متناسيًا التّشبيه الذي أورده، إذ يرى أن ساكنه المعنى ولا خير في بيت غير مسكون"[21]، وفي السِّياق نفسه يُورِد تصوُّرا عن وجود كلمات لا فائدة منها أثناء حديثه عن الحشوِ حيث يمكن: "أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى، وإنّما أدخله الشاعر لإقامة الوزن"[22].

بناءً على ما تقدَّم بخصوص هذه القضيّة والتّذبذب الحاصل في آرائه النّقدية يدل برأي –بعض النّقاد–على احتماليّة تعثُّر الدّارسين لمن يحاول منهم التّعرف على فهم خاص لكل من اللّفظ والمعنى والعلَّة في ذلك –حسب علي مهدي زيتون– انجرار –ابن رشيق– وراء شتات الآراء التي وجدها في مصادره المتعدّدة دون أن

يفكّر باللُّجوء إلى منطلقات مقتنع بها يصحبها على جميع مواقفه، فضلا عن أن المرء يحار أثناء تتبُّع مسألة التأويل عنده، إذ كثيرا ما تختفي الحدود بين آرائه الشخصية والآراء التي يوردها لغيره، مما يوقعه في التَّناقض أحيانا، ويبعده عن فكرة تحوُّل الدَّلالة، الذي قد يعتري بعض الألفاظ في بعض التراكيب وفكرة احتمال أكثر من دلالة واحدة للفظة واحدة في التَّركيب الواحد[23]، خاصة وأنه تعرّض لتفسير بيت امرئ القيس المذكور من قبل بعض المحدثين حيث يقول: "إنَّما أراد الإفراط فزعم أنه يرى مقبلا مدبرا في حال واحدة عند الكرِّ والفرِّ لشدَّة سرعته"، وكأن ابن رشيق يريد القول: إن هذا النص يحتمل كل هذه التفاسير وإن لم يكن بعضها قد خطر على بال الشاعر، لأن النَّص يقدم مثل هذه المعاني، ولا تلقاه قد استقرَّ على رأي واضح محددا فيما خص العلاقة بين اللّفظ والمعنى من جهة.

وفيما تعلّق بمكمن المزيّة من جهة أخرى[24]، وهنا يبرز مصطلح "الاتّساع "الذي حدّده ابن رشيق بوضوح حيث يقول: "ذلك أن يقول الشاعر بيتا يتَّسع فيه التأويل فيأتي كل واحد بمعنى، وإنَّما يقع ذلك لاحتمال اللَّفظ وقوَّته واتِّساع المعنى"[25]، فيصف اللّفظ بالاحتمال والقوّة ويأتي بالمثل "كجلمود صخر حطَّه السَّيل من عل" ليفسِّر لنا معنى احتمال اللَّفظ وقوَّته مشيرا بذلك إلى مسألة مهمة في عالم النّقد تقوم على أن المعنى هو ما يقدِّمه النَّص[26]، بالإضافة إلى الوجود الموضوعي للنُّصوص[27].

غير أن هذه الإضاءة التي قدَّمها ابن رشيق لم تدم طويلا بالنسبة لبعض النُّقاد الذين رأوا أن التعرف على مفاهيمه النَّقدية المرتبطة بالتركيب يشوبُها بعض الغموض بل العجز أحيانا بالأخص عند البحث عن تحديد لمفهوم التركيب لأنه – حسبهم– العمدة في محاسن الشّعر وآدابه لا يتضمّن ذلك إضافة إلى العمل المُضني في محاولة منهم العودة إلى آثار تدلُّهم على بعض الخيوط كي يعيدوا نسجها من

جديد[28]، ولعل السبب في ذلك عائد إلى الانتماء الفكري الذي لا يحتلُّ مقاما مهما في عالم ابن رشيق حتى بلغ بهم الأمر إلى نعته براوية للأفكار النَّقدية أكثر ممَّا هو ناقد فما مدى صحة هذا الكلام إذا ما أردنا دراسة التركيب عبر مستوياته الثَّلاث عند ابن رشيق؟

**التركيب:** يبدو أن الآراء النَّقدية المنوطة بمستويات التّركيب (الصّوتية- التّأليفية- الدّلالية) لم تلق استحسانا من قبل بعض النّقاد، إذ اعتبروها إشارات تكاد لا تذكر في عالم النّقد غير أنه تطرق لمسألة أصلية على المستوى التأليفي ألا وهي مسألة المطبوع والمصنوع، فبرأيه أن كلا من الطبع والصّنعة يساهمان في تحديد بنية التركيب وجدير بالذكر أن هذه النظرة ليست وليدة التأثر بالبيان القرآني، وما نتج عنه من دراسات ولكنها تعود إلى الحقبة الجاهلية حيث المدرسة الأوسية[29]، تحاذي البديهة والارتجال في معلقة الحارث بن حلّزة[30]؛ ومن الواضح أن ابن رشيق كان أصولي الذوق وظل كذلك بشكل عام متمسكا بعمود الشعر القديم يصدر عنه في بعض مواقفه من دلالة التركيب غير متأثر بمسألة الإعجاز، وما رافقها من دراسات كانت ستكون جديرة بالاهتمام أكثر- حسب رأي بعض النّقاد- لو أنه تعاطى مع المسائل النقدية بوضوح نظري وخلفية فكرية محددة وعلى العكس من ذلك، فقد اعتمد على ذوقه الذي يعود إلى تكوينه أصوليا لا محدثا إذ أنه ربط وضوح الدلالة بالتنظيم الجملي للتركيب حينما قال: "ومن الشعراء من يضع كل نقطة موضعها لا يعدوه فيكون كلامه ظاهرا غير مشكل"[31]، وتعد هذه الإشارة في غاية الأهمية تشير إلى ارتباط وضوح الدلالة أو غموضها بالتركيب.

إلا أن التراتب الآلي للألفاظ لا يمكن أن يصان في ظل تشعب القضايا وتنوعها وعمقها ولا يشكل ذلك التراتب بالضرورة منهجا للوضوح لأن التقديم والتأخير

يمكنهما أن يقدما تركيبا واضحا أيضا بخلاف ما اعتقده ابن رشيق عما يمكنهما أن يحدثاه من إشكال و غموض[32].

وعليه –يرى البعض أن ابن رشيق كانت لديه فرصة عظيمة لاستغلال مابين يديه من تراث نقدي متعلق بالدراسات الإعجازية لكنه ضيعها ولم يحسن الإفادة منها ولو أنه فعل لأمكنه دفع دراسة التركيب قدما بما يلفت الانتباه وفي السياق نفسه نجده يتحدث عن السرق وإمكانية وجود أكثر من تركيب للبنية الدلالية الواحدة[33]، وبطبيعة الحال هذا أحدُ المواقف الأصولية التي جعلت –العديد من النّقاد– يعيبون على ابن رشيق اعتماده على سابقيه دون أن تبدو أمارات شخصيته واضحة فيما عرض خصوصا في صياغته لباب الإيجاز بالإضافة إلى تعليقه على الشواهد حيث اقتصر عمله فيها على الإشارة إلى كيفية المساواة أو الاكتفاء دون أن يتطرق إلى القيمة الدلالية لذلك التركيب في المقابل نجده قد مر على المسائل التي أنتجها الاعجاز القرآني (الطباق– التشبيه– المبالغة– الكناية– الاستعارة– المجاز– الحقيقة) –كعادته– بعقلية أصولية وبصورة عفوية لدرجة أن الدارس ليظن أن هذا الأخير – ابن رشيق– لا يعي سرّ ما يقول ولعل السبب وراء ذلك حديثه عن العلاقة التي أوجدها عندما تحدث عن المجاز والاستعارة إذ يقول: "والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعا في القلوب والأسماع ...فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز"[34]، وعندما يكون المجاز أبلغ من الحقيقة يعني أنها قاصرة والمجاز هو المعوض عن هذا القصور، فكيف تلعب الاستعارة مجازا هذا الدور وتكون في الوقت نفسه من اتساعهم في الكلام اقتدارا ودالة، ليس ضرورة؟[35].

وبرأي بعض النقاد أن هذه القضية كشفت عن قصور في الرؤية النقدية لصاحب العمدة وبحسبهم لا يقف مثل هذا الموقف غير راوية للأفكار النقدية لا

يتمتع بخلفية فكرية تعطي لأفكاره ومواقفه مسحة من التكامل والانسجام[36]،أما فيما يخص البلاغة فقد كان موقفه منها صادرا عن حصيلة نقدية وصلت إليه من مختلف الثقافات (المشرقية– اليونانية– عربية– إسلامية)، وجدير بالذكر أن النقطة التي يلام عليها ابن رشيق في نظري أنه لم يول العناية أو الأهمية للدراسات الإعجازية رغم أنها كانت محركا ومسهما في تحديد النتائج البلاغية التي توصلت إليها الدراسات الإعجازية مما أثر بطبيعة الحال على الدراسات النقدية في القرون التالية وأسهم في تحديد مسارها وما توصلت إليه من مفاهيم[37].

**خاتمة:**

وخلاصة القول: إن الآراء تباينت حول شخصية ابن رشيق النقدية، فمنهم من يعتبره شخصية نقدية فذة استطاعت جمع أهم وأبرز القضايا النقدية ومعالجتها، في حين يراها –آخرون– وعاء لطائفة من الأفكار النقدية لا تعي سر ما تقول وتعجز عن فهم بعض القضايا النقدية، لكن هناك من يرد على هذا الكلام بأن تبني الآراء النقدية لا ينقص من شخصية الناقد، خاصة وأن ابن رشيق كان ثقة في كل ما كتب –حسب بعض النقاد–

بالإضافة إلى سعة ثقافته وقدرته على الكتابة والتأليف تنوء به من أن يكون مجرد ناقل أو راو، فقد كان شاعرا فحلا وأديبا متضلعا، وناقدا فذا يتميز بلجوئه إلى الأمثلة الحسية باستعمال الحجج والبراهين، وهذه إحدى مميزاته، حتى يكون الأمر واضحا بالنسبة لغيره أو على الأقل بالنسبة للمتعلمين والمتأدبين، في المقابل يعاب عليه –ابن رشيق – عدم تعمقه في الفكرة والخبرة في التحليل والعمق، فيما كتب خاصة عن فضل الشعر وأولويته، إلا أن بعض النقاد يثني عليه فيما وصل إليه من أن الإبداع الشعري يتطور من منطلق السرقة والقلب حينما أدرك بفطنته كيف أن المعاني الشعرية تؤخذ وتقلب على وجوه لا يدركها إلا الحاذق بهذه الصناعة فضلا

عن امتلاكه مقومات كاللغة، التي يعتبرها الكثير من النقاد ليست مجرد وعاء للفكر، بل هي الفكر والفكر السوي أداة للعمل وخطة للإنجاز وخريطة يهتدي بها المسافرون إلى المستقبل، وإذا ما أسقطنا هذا الكلام على رجل كابن رشيق المسيلي نجدها شخصية نقدية أخفقت مرة وأجادت مرات عدة .

**الهوامش والمراجع:**

[1]– ينظر : الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، د. بشير خلدون، ص 253.

[2]– طبيعة الإبداع الشعري عند ابن رشيق في ضوء قراضة الذّهب، د.إبراهيم عبد النّور، ط1–2014– تيارت –الجزائر، ص–أ– مقدمة الكتاب.

[3]– البلاغة تطوّر وتاريخ، د.شوقي ضيف،ص 146.

[4]– ابن رشيق، العمدة 16/1 –17.

[5]– الحركة النّقدية على أيّام ابن رشيق المسيلي، د.بشير خلدون، ص 141.

[6]– المرجع نفسه، ص 149.

[7]– ابن رشيق المسيلي /العمدة .ج1 "باب حد الشّعر وبنيته"، ص 209 .

[8]– الحركة النّقدية على أيام ابن رشيق المسيلي،د.بشير خلدون، ص 135.

[9]– المرجع نفسه،ص ن.

[10]– المرجع نفسه،ص 117.

[11]– المرجع نفسه،ص 136.

[12]– المرجع نفسه،ص 148–149.

[13]– ينظر: المرجع نفسه،ص 193–194.

[14]– ابن رشيق، العمدة،ج1، "باب اللفظ والمعنى"، ص 217.

[15]– الحركة النّقدية على أيّام ابن رشيق المسيلي، د.بشير خلدون، ص 178.

[16]– المرجع نفسه،ص 207.

[17]– ابن رشيق، العمدة، 130/1.

[18]– الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، د.بشير خلدون، ص 227.

[19]– طبيعة الإبداع الشعري عند ابن رشيق في ضوء قراضة الذهب، د. إبراهيم عبد النور، ص 123.

[20]– ابن رشيق،العمدة،124/1.

[21]– المصدر نفسه، 121/1.

[22]– م ن، 69/2.

[23]– إعجاز القرآن، د. علي مهدي زيتون، ص 117.

[24]– م ن، ص 119.

[25]– ابن رشيق،العمدة –93/2.

[26]– عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 34–35.

[27]– أبو ديب.النقد العربي، مواقف، ع41–42، ط1981، ص 18.

[28]– إعجاز القرآن، ص 180.

[29]– ابن رشيق،العمدة .133/1.

[30]– م ن /190/1.

[31]– م ن،259/1–260.

[32]– إعجاز القرآن، د.علي مهدي زيتون، ص 189.

[33]– م ن، ص 189.

[34]– ابن رشيق، العمدة، ص 266.

[35]– م ن 279/1.

[36]– إعجاز القرآن،علي مهدي زيتون، ص 192.

[37]– م ن،ص 285.